

مقدمة

لقد بدأ العنف مع بداية الحياة الاجتماعية للبشر، فالقاعدة الأساسية التي كانت تسيطر عليها الحياة في العصور البدائية هي قاعدة "البقاء للأقوى"، لكن بتطور الحياة الاجتماعية والمدنية عبر الزمن، ظهرت قيود على هذه القاعدة، ومع هذا وبالرغم مما وصل إليه الإنسان من تقدم علمي وتكنولوجي هائل، وبالرغم من الحياة المتحضرة والمتمدنة التي أصبح يعيشها، إلا أننا نجد أن قاعدة "البقاء للأقوى" ما تزال موجودة بشكل أو بآخر، ولا يقتصر وجود هذه المظاهر على الأفراد فحسب بل نجده بين المجموعات وبين الدول.

فقد اتسعت دائرة العنف في الآونة الأخيرة، وشهد مسرح الأحداث الدولية العديد من النشاطات الإرهابية، التي تتجاوز آثارها حدود الدولة لتمتد إلى عدة دول مكتسبة بذلك طابعاً عالمياً. والإرهاب كأحد صور العنف أصبح الهاجس الذي تعيشه الدول، ويتخوف منه الأفراد فقد أصبح الإرهاب جزءاً من حياة الناس اليومية، ولا يكاد يمر يوماً دون أن تقع عملية إرهابية في مكان ما من العالم.

فهو ظاهرة خطيرة تهدد وجود المجتمع ذاته، ويعد نوع خطير من الإجرام، له وسائله الخاصة التي يهدف بها إلى تحقيق أغراضه، خاصة السياسية منها، كما أنه يشكل آفة فضيحة انتشرت في بلدان العالم كافة، المتقدم منها والمتأخر من الدول، الكبيرة والصغيرة على حد السواء. والإرهاب كعمل مولد للرعب والترويع لدى الجمهور، قديم قدم التاريخ المكتوب، ولكن في الوقت الحاضر، وبعد ذبوع صيت الأعمال الإرهابية تم التركيز على هذه الظاهرة بحماس لم يسبق له مثيل.

ومما لا شك فيه أن موضوع بحثنا هذا يكتسي أهمية بالغة في عالم اليوم الذي شهد تغيرات عميقة، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

حتى أن أنباء الإرهاب أصبحت تحتل مكان الصدارة في وسائل الإعلام وتحظى بجذب انتباه واهتمام الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية وميولهم السياسية، ومواقع وجودهم على ظهر المعمورة.

فلقد أصبح الإرهاب من أهم المظاهر بروزا على الساحة الدولية والداخلية، وهو موضوع حساس.

ولعل من أهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو التلاعب بالمصطلحات، ومحاولة إطلاق التعاريف وتشكيلها في قوالب تخدم الدول، أو جهات معينة خاصة عندما نعلم أن هذه الجهات قد فشلت ليس فقط في استئصال شأفة الإرهاب فحسب، وإنما فشلت في تحديد هذا المفهوم الغامض أيضا، ولم يقل لنا أحد بأية درجة من الوضوح واليقين ما هو الإرهاب فعلا أو ما هي أشكاله حقيقة، خاصة حينما يطبق المثل الشائع

"بأن من يعتبر إرهابيا من وجهة نظر أحدهم يعتبر بطلا أو مناضلا في سبيل الحرية من وجهة نظر آخر".

ثم دعونا نستعيد القياس البليغ الصادر عن فولك Folk حينما قال: "لماذا يوجد إرهابيون جيدون وإرهابيون سيئون"، هذا من حيث إشكالية المفاهيم.

ولعل أهمية الموضوع تزداد عندما يرجع استخدام مصطلح الإرهاب كوصف لوضع سياسي معين، حيث تصف الحكومات أعمال معارضيها، ويصف به هؤلاء بدورهم الأعمال التي تقوم بها حكوماتهم ضدهم، بل إن استعمال المصطلح لم يتوقف عند هذا الحد، فقد امتد ليشمل في مجال العلاقات الدولية وصف أعمال أطراف النزاعات الدولية، حيث تعتبر كل دولة خصم في نزاع معين أعمال الطرف الآخر في النزاع من قبيل الأعمال الإرهابية.

وتركزت أهمية الموضوع بشكل أكثر وضوحا عندما صار هذا المصطلح يستعمل في وصف أعمال معينة، خاصة أعمال الكفاح الذي تخوضه حركات التحرر الوطني في صراعها ضد الاستعمار والعنصرية، بغية انتزاع حقها في الاستقلال والحرية، وتقرير المصير وامتد ذلك ليشمل الأعمال التي تقوم بها الدول الأخرى لتأييد حركات التحرير ومساندتها، فوصفت أيضا بأنها إرهابية.

أما بالنسبة للسبب الآخر للدراسة فيمكن في معرفة ما يكونه الإرهاب السياسي من جريمة مستقلة قائمة بذاتها على صعيد القانون الداخلي والقانون الدولي.

والمنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج المقارن، أي تجري عملية مقارنة بين جريمة الإرهاب السياسي على المستوى الدولي والداخلي (الوطني).

وتكمن مستويات المقارنة من خلال معرفة أركان هذه الجريمة، ومعرفة ما تكونه من جريمة مستقلة قائمة بذاتها، أم هي مجرد عمل مخفف أو مشدد لجرائم أخرى وهذا على المستوى القانون الوطني والقانون الدولي.

أيضا ندرس مستوى المقارنة من خلال أسباب وخلفيات الإرهاب، وكذلك على مستوى التعاريف والمفاهيم، وعلى مستوى الفاعلين... وغيرهم. وعليه سنقوم بدراسة مقارنة لهذه الجريمة بين القانون الجنائي الدولي الجنائي، والقانون الوطني.

كذلك سنتبع في الدراسة المنهج التحليلي الاستنتاجي، وذلك بمحاولة تحليل المفاهيم التي كثر استعمالها في الأدبيات المنشورة وفي الكتب والدراسات المعاصرة، والتي عجزت عن تفسير ظاهرة العنف بصورة عامة والإرهاب بوجه خاص، خاصة عندما يتعلق الأمر بالإرهاب السياسي، ثم تحديد هذه المفاهيم بشيء من التمحيص والتجرد والاتزان.

ونلقي الضوء كذلك على المسؤولية عن أعمال الإرهاب السياسي والتعاون الدولي لمكافحته، أي معالجة الموضوع من زاوية التعاون مع الظاهرة على المستوى التشريعي الدولي، كما نقوم أيضا بتتبع النصوص و التشريعات الوطنية المتعلقة بالإرهاب وتحليلها وتمحيصها.

بالإضافة إلى المنهج التاريخي، المتمثل في الدراسة التاريخية لظاهرة الإرهاب وتطوراتها عبر مراحل ومحطات تاريخية معينة.

ويكمن هدف الدراسة في تمحيص مسألة الإرهاب من وجهة نظر قانونية للتحقيق فيما إذا كان للإرهاب السياسي أي مركز في القانون الدولي الوضعي والقانون الداخلي.

فما هو الإرهاب بشكل عام، والإرهاب السياسي على الخصوص؟.

وهل يشكل الإرهاب السياسي جريمة مستقلة قائمة بذاتها طبقا لمعايير القانون الدولي والقانون الداخلي؟ أم أنه مجرد عامل يخفف أو يشدد جريمة أو جرائم موجودة فعلا؟.

بالنسبة لفروض البحث وتساؤلاته الفرعية نطرح التالي:

* ما العوامل المؤدية إلى الإرهاب؟

* ما النصوص القانونية التي تجرم الإرهاب السياسي على المستويين الدولي و الداخلي؟

* ما مدى التعاون لمكافحة الإرهاب السياسي على المستوى الدولي؟

* ما العقوبات التي تحول دون اكتمال التعاون؟

* ما التصور الأمثل لمواجهة الإرهاب السياسي على المستويين الدولي و الداخلي؟

وعليه فالدراسة التي نحن بصددھا ستتركز بالدرجة الأولى على الجانب القانوني، مع عدم إهمال الجوانب الأخرى المحيطة بهذه الظاهرة، والتي يعود السبب بصورة رئيسية إلى أجهزة الإعلام وكتابات كتاب مختصين بالإرهاب في جعلنا نعتقد بأننا نعيش في حقبة من "هوس الإرهاب". لقد أصبحنا نعتقد أن الإرهاب اليوم وليس الاستعمار الجديد، ولا التفارقة العنصرية، ولا إبادة الجنس ولا سباق التسلح، ولا الانتهاك العظيم لحقوق الإنسان والحريات الأساسية، أجل إن الإرهاب وحده هو الخطر البادي للعيان، وهو التهديد الرئيسي لوجود جيلنا والأجيال والمقبلة، ما لم يزل أثر هذه الظاهرة غير القابلة للاحتمال من وجه الأرض إلى الأبد.

وقد قسمنا خطتنا هذه إلى فصلين يسبقهما فصل تمهيدي؛ الذي تناولنا فيه تاريخ الإرهاب في المبحث الأول، أما المبحث الثاني فتعرضنا لخلفيات الإرهاب وحاولنا التركيز على الخلفية السياسية. وبالنسبة للفصل الأول الذي تكلمنا فيه عن ماهية الإرهاب السياسي وقسمناه إلى مبحثين، تناولنا في الأول محاولة تعريف الإرهاب وخاصة البحث عن تعريف الإرهاب السياسي، أما المبحث الثاني فتطرقنا إلى أشكال الإرهاب السياسي، وتمييزه عن غيره من الظواهر المشابهة. أما بالنسبة للفصل الثاني فقسمناه إلى ثلاثة مباحث، تكلمنا في الأول عن جرائم الإرهاب السياسي في القانون الدولي الجنائي، أما المبحث الثاني فتعرضنا فيه إلى المسؤولية الدولية عن أعمال الإرهاب السياسي، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه جرائم الإرهاب السياسي في التشريع الوطني، وهذا كله تحت عنوان جرائم الإرهاب السياسي في القانون الجنائي.